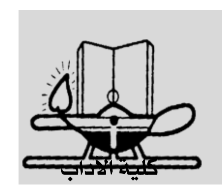


حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد يناير – مارس ٢٠١٧)

http://www.aafu.journals.ekb.eg

(دورية علمية محكمة)



وصف الرحالة المغاربة والأندلسيين للبيمارستانات المشرقية من القرن السادس الي القرن الثامن الهجري (١٢-١٤م)

نواف عبد العزيز الجحمه*

أستاذ مشارك، كلية التربية الأساسية الهيئة العامة للتعليم التطبيقي ، دولة الكويت

المستخلص

يجد الباحث في تاريخ تقدم الطب العربي الاسلامي لبلاد المشرق العربي خلال العصر الوسيط صعوبة كبيرة تتمثل في قلة المصادر وندرة المعلومات حول ممارسة الطب والرعاية الصحية، هذا وتشكل كتب الرحلات المغربية والأندلسية على اختلاف انماطها وتباين مقاصدها اطارا مرجعيا لاغنى عنه بالنسبة للباحث في حقل "العلوم" لان هذا الجنس من الانتاج الادبي ينطوي على رصيد هام ومتنوع من الثقافة المعرفية قلما نجد له نظيرا في باقي المدونات التاريخية كما وكيفا وتعبيرا.

فالمعلومات المتضمنة في كتب الرحلات المغربية والأندلسية تساهم مساهمة فعالة في رصد العديد من الجوانب المتعلقة بالنشاط الطبي لبلدان المشرق العربي خلال الفترة قيد الدرس.وهذا ما سنحاول ابرازه من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

المقدمة:

تشكل كتب الرحلات على اختلاف أنماطها وتباين مقاصدها إطاراً مرجعياً لا غنى عنه بالنسبة للباحث في حقل "العلوم" ، لأن هذا الجنس من الإنتاج الأدبي ينطوي على رصيد هام ومتنوع من القضايا والمعارف بشأن أحوال الدول ونظمها السياسية والاقتصادية وأنساقها الاجتماعية والثقافية قلما نجد له نظيراً في باقي أنواع المدونات التاريخية الموازية كماً وكيفاً وتعبيراً [1] .

تتميز الرحلات القديمة بتسجيلها لمعالم ومآثر اندثرت أو ما زالت مستمرة في بنيانها وهاماتها، أو أنها أخذت منحى مغايراً، أو تطورت تطوراً معيناً في أشكالها وتعبيراتها ، ويعد الوقوف على مشاهدات الرحالة والتعرف عليها استحضاراً لذاكرة الجماعة وانتشالها من النسيان، وتجعلنا نتصور عن قرب أجواء مضت، وغالباً ما تشعرنا أنها مازالت قابعة في واقعنا، تمتد في أوصالنا وخيالاتنا[2].

من هذه الزاوية، تشكل رحلات المغاربة والأندلسيين هذا الامتداد الخفي والظاهر الذي يبرز إلى السطح بمجرد القراءة الأولية لسطورها ،وتشعرنا بأن موجه الرياح مازالت متدفقة على شواطئنا سواء في عنفها أو سكونها.

لقد اخترت وصف البيمارستانات[3] التي زارها الرحالة لتكون محور هذا البحث، ووقع تركيزي على مدن معينة (بغداد – دمشق – القاهرة) لما تشكل هذه المدن من جوانب مشرقة، ولما تحمله من صور ترتبط بواقعنا وتاريخنا، وتعيد إلى الذاكرة من خلال الوصف الحي والمباشر وقائع تاريخية واجتماعية ومعالم عمرانية.

إن أهم ما يميز وصف الرحالة لمجمل البيمارستانات أنه لم يقف عند البنيان وإنما حاول أن يرصد خلالها النسيج الاجتماعي السائد فيها، الى جانب الكشف عن نظامها الطبي وأنماط سلوكها وعاداتها، وما تتميز به من خصائص حضارية ، ويمكننا في ضوء ذلك أن نرسم بسهولة معالمها وحدود تطورها.

١ـ نشأة البيمارستانات:

يروي لنا المقريزي أن أول دار أسست لمداواة المرضى في الإسلام بناها في دمشق الوليد بن عبدالملك سنة(٨٨هـ/٧٠٦م)، وجعل فيها الأطباء وأجرى عليهم الأرزاق، أما المجذمون[4] والمصابون بأمراض معدية، فقد أمروا بمغادرة المدن، وخصصت لهم أعطيات رعاية لهم، في حين أعطى كل مُقعد خادماً يهتم بأمره، وكل ضرير قائداً يسهر على راحته[5].

ومما لا شك فيه أن البيمارستانات كانت في بدايتها بسيطة ولكنها مع مرور الأيام توسعت وأخذت شكلها المتكامل، بعد أن أدخل عليها الكثير من الإضافات والتحسينات، وبلغت ذروتها زمن العباسيين، ونتيجة لازدهار العلوم الطبية في بغداد كان من الطبيعي أن ينشأ في هذه المدينة شكل متطور من أشكال التطوّر المدني بفضل ازدهار علم الطب، لأنه من الصنائع التي لا تستدعيها إلا كثرة العمران والحضارة والترف في المدن الإسلامية على حد تعبير ابن خلدون[٦].

وإذا كانت المدن الإسلامية الكبرى منشئة لهذا البيمارستان، وحاضنة له، فإن ذلك يعود إلى وقوع: "الأمراض من أهل الحضر والأمصار أكثر، لخصب عيشهم وكثرة مأكلهم، وقلة اقتصارهم على نوع واحد من الأغذية، وعدم توقيتهم لتناولها، وكثيراً ما يخلطون بالأغذية من التوابل والبقول والفواكه رطباً ويابساً في سبيل العلاج بالطبخ، ولا يقتصرون في ذلك على نوع أو أنواع، فربما عددنا في اليوم الواحد من ألوان الطبخ أربعين نوعاً من النبات والحيوان، فيصير للغذاء مزاج غريب وربما يكون غريباً عن ملاءمة البدن

وأجزائه(...)، ثم الرياضة مفقودة لأهل الأمصار إذ هم في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئاً ، ولا تؤثر فيهم أثراً. فكان وقوع الأمراض كثيراً في المدن والأمصار"[7].

يبدو أن المدن الإسلامية الكبرى هي التي كانت تشاد فيها البيمارستانات المتخصصة في علاج الحالات المستعصية، نظراً لتطور المعرفة الطبية فيها، فمدينة بغداد من أهم المدن المركزية ، كونها عاصمة للخلافة الإسلامية في عهد بني العباس.

من أجل ذلك كانت بغداد العباسية قبلة لعشاق الطب والمعرفة، إذ نشر العباسيون العلوم الطبية وأسسوا المدارس الطبية والبيمارستانات حتى غدت في الشرق من أهم المراكز الثقافية الطبية في العالم الإسلامي في تلك الفترة ، وعرف عن قادة بغداد العباسية اهتمامهم بإنشاء البيمارستانات، فقد أقام البرامكة بيمارستان في عهد الخليفة الرشيد، أسندت رئاسته إلى الطبيب ماسويه، ثم إلى ابنه يوحنا ،ويحكى عن طاهر بن الحسين قائد الخليفة المأمون أنه كتب إلى ابنه عبدالله "وأنصب لمرضى المسلمين دوراً توقيهم، وقواماً يرفق بهم، وأطباء يعالجون أسقامهم"[8].

ولم يلبث أن ازداد عدد البيمارستانات في الخلافة العباسية زيادة واضحة،حتى بلغت في سنة (٣٠٧هـ/٩٢٠م) في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله خمسة، أشرف على إدارتها الطبيب سنان بن ثابت[9]، وإليه يرجع الفضل في إنشاء بيمارستانين كبيرين، سمي الأول البيمارستان المقتدري نسبة إلى الخليفة المقتدر الذي قام بالإنفاق عليه من ماله الخاص، أما الثاني كان تحت رعاية السيدة أم المقتدر [10] ثم كان أن أسس الوزير ابن الفرات بيمارستان آخر في بغداد سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)، أكرم الطبيب سنان بن ثابت وعظمه، فأشار إليه سنان بإقامة بيمارستان جديد سنة (٣٢٩هـ/٩٤١م) فوق ربوة على الشاطئ الغربي لدجلة، كانت تحمل قصر هارون الرشيد من قبل وظل هذا البيمارستان قائماً حتى جدده عضد الدولة سنة (٣٦٨هـ/٩٧٨م)[11] .

وأكبر بيمارستانات العصر العباسي وأهمها كانت ثلاثة وهي- البيمارستان العضدي في بغداد، والبيمارستان النوري في دمشق، والبيمارستان المنصوري في القاهرة، وإلى جانب هذه البيمارستانات الكبرى، اشتهرت بيمارستانات أخرى (خاصة)، خصوصاً في هذه المدن، فكان يتسابق على إنشائها الخلفاء ونساؤهم ،ووزراء الدولة. وتجدر الإشارة إلى أن الخدمات الطبية من المداواة وإجراء العمليات وإطعام المرضى كانت مجاناً، لأن الدولة توقف إيرادات بعض أملاكها لإدامتها والإنفاق عليها كما تنال بعض التبرعات من المحسنين[12].

هذا وسأذكر فيما يلي صوراً جزئية ولقطات دفينة للبيمارستانات الثلاثة في هذه المدن ف النصوص التي وصلت إلينا عنها من الرحالة قليلة جداً، رغم أن كثيرين من أهل المغرب والأندلس دخلوا المشرق خلال هذه المدة التاريخية[13]، وعلى كثر ما بحثنا عن النصوص المتعلقة بالبيمارستانات فإننا لم نجد إلا ماكتبه بنيامين التطيلي[14] وابن جبير البلنسي[15] في القرن السادس الهجري (١٢م)، وابن بطوطة الطنجي[16] والبلوي القنتوري[17] في القرن الثامن الهجري (١٤م).

٢ـ البيمارستان العضدي ببغداد:

لعله أشهر البيمارستانات في الخلافة العباسية وأوسعها. أسسه عضد الدولة البويهي أبو شجاع بن ركن الدولة في الجانب الغربي ببغداد سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢)، ورتب فيه الأطباء والخدم والخزان. ونقل إليه من الأدوية والعقاقير أشياء كثيرة[18]. وقد بلغت نفقة هذا البيمارستان سنوياً مائة ألف دينار، وعين له أربعة وعشرون من أمهر الأطباء في

البلاد من مختلف الملل[19]. وقد أصاب البيمارستان بعد نصف قرن على تأسيسه دمار وخراب بسبب الأحداث السياسية والطبيعية، وقام بترميمه وتجديده الخليفة القائم بأمر الله والسلطان السلجوقي طغرلبك[20].

وقد زار هذا البيمارستان الرحالة بنيامين التطيلي (٥٦١-٥٦٩هـ/١١٦٥-١١٧٣م) وروي أنه شاهد في بغداد على الجانب الغربي من مدينة بغداد، بين نهر دجلة ونهر آخر يأتي من الفرات المارستان "وهو مجموعة من البنايات الواسعة، يأوي إليه المعوزون من المرضى رغبة في الشفاء، وبهذا المارستان قوامون من الأطباء يبلغ عددهم الستين طبيباً، يعالجون المرضى ويطبخون لهم الأدوية. والخليفة يجهزهم بما يحتاجون إليه من مال.."[21].

كما أورد الرحالة ابن جبير (٥٤٠-٦١٤هـ/ ١١٤٥-١٢١٧م) خبر هذا المارستان بعد بنيامين بمدة وجيزة وروى كيف أن الأطباء "يتفقدونه كل يوم اثنين وخميس، ويطالعون أحوال المرضى به، ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون إليه، وبين أيديهم قومة يتناولون طبخ الأدوية والأغذية، وهو قصير كبير فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكية، والماء يدخل إليه من مياه دجلة"[22].

وقد لحق هذا المارستان أذى كبير من حوادث الغرق التي كانت تصيب بغداد بين حين وآخر، لكنه يجدد بعد كل حادث.وقد ظل عامراً إلى أن أنشأ الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٣م) المدرسة المستنصرية على شط دجلة من الجانب الشرقي لما يلي دار الخلافة، وشيد فيها البيمارستان المستنصري، فانصرفت العناية إلى هذا المارستان وضؤل شأن البيمارستان العضدي[23].

٣. البيمارستان النوري بدمشق:

أسسه السلطان نور الدين زنكي سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م) ووقف له الأموال اللازمة[24]. وقد ذكر أن الأموال التي أنفقت في تشييده كانت مال فدية أحد ملوك الإفرنج عندما أسر بين يدي السلطان نورالدين[25].وقد اشترى بدرالدين ابن قاضي بعلبك الذي تولى إدارته سنوات، بضعة بيوت مجاورة للبيمارستان وأضافها إليه ووسعه وزين قاعاته وجلب المياه إلى أقسامه[26].

وقد زار هذا البيمارستان الرحالة ابن جبير (٥٨٠هـ/١١٨٤م)، حيث اعتبره بمثابة مفخر عظيم من مفاخر الإسلام[27].يقول في نصه:"وفيها مارستان قديم وحديث، والحديث أحفلهما وأكبرهما وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر دينارا، وله قومه بأيديهم الأزمة(السجلات) المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون إليها من الأدوية والأغذية وغير ذلك، والأطباء يبكرون إليه في كل يوم ويتفقدون المرضى ويأمرون بإعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل إنسان منهم، والمارستان الآخر على هذا الرسم، لكن الاحتفال في الجديد أكثر.."[28] .

يبدو أن البيمارستان النوري كان يؤدي وظيفة مهمة بالإضافة إلى معالجة المرضى وهي تدريس وإعداد الطلاب ليكونوا أطباء، وقد عمل في الطبابة فيه أشهر الأطباء العرب والمسلمين[29]، وكان المرضى يتلقون الدواء والغذاء مجاناً حتى يتماثلوا للشفاء ولا يمنع فيه الاغنياء إذا لم يتوفر بعض الأدوية إلا فيه، مما يؤكد الأهمية الاجتماعية لمثل هذه المؤسسة، أنه لما حضر نورالدين إلى البيمارستان، أحضر له شراب، فشربه وقال: "هذا حلال علي وعلى جميع المسلمين مثلي"[30].

ومن هنا أرسلت العقاقير الطبية إلى قائد الجيوش المصرية الشاب المنصور قلاوون[31] عندما أصيب بالقرب من دمشق بنوبات في الكبد، وبعد شفائه امتطى المنصور

صهوة جواده وانطلق في جمع من أصحابه إلى البيمارستان، ومنذ ذلك اليوم رافقته صورة واحة السلام هذه في وسط المعارك ورافقته أيضاً ذكرى القاعات المنعشة مع المرضى وقد تمددوا في أسرة وثيرة ناعمة. فكان أن أقسم على بناء مثل هذا البيمارستان إذا وفقه الله وأوصله إلى سدة الحكم، وهكذا كان، فلما أن ارتقى عرشه نفذ وعده بسخاء، وارتفع بناء البيمارستان المنصوري قصرا فأحسن ما تكون القصور بما فيه من الثمين الغالي، وكان أعظم البيمارستانات وأغناها خلال العصر الوسيط[32].

٤. البيمارستان المنصوري بالقاهرة:

يعد البيمارستان المنصوري درة من درر العمارة المملوكية التي لا تزال شاهدة على عظمة الباني، فلقد أراد المنصور إنشاء مبرة خيرية في القاهرة عاصمة المماليك يعم نفعها جميع المسلمين دون تغريمهم شيئاً، فقد تم اختيار الموضع المحدد في قلب القاهرة، وبالتحديد الدار القطبية وهي بخط بين القصرين، وقد كانت إحدى المباني الكبيرة التي خصصت لسكنى بعض الأفراد من الأسرة الأيوبية، وكانت قبل ذلك دار الأميرة الفاطمية ست الملك أخت الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، وبعد التفاوض مع المالكة مؤنسة خاتون الأيوبية، تم إعطاؤها الثمن المطلوب، وتعويضها بدار أنيقة هي قصر الزمرد بالقرب من رحبة باب العيد في شمال القاهرة آنذاك[33].

وكانت الخطة لهذا البناء تتمثل في إنشاء بيمارستان لكافة التخصصات، وصيدلية كبيرة بها كافة الأدوية والعقاقير، وقبة مخصصة لحفظ القرآن الكريم، ومدرسة لتعليم العلوم الشرعية والطبية، فضلاًعن المنشآت الخدمية، كل هذا من مال السلطان قلاوون شخصياً[34].

ويعتبر البيمارستان المنصوري حسبما هو مسجل في المصادر المملوكية أشهر البيمارستانات التي أنشئت في ذلك العهد، وقد أطنب مؤرخو هذا العصر ورحالته في وصف محاسن البيمارستان المنصوري.

يصفه الرحالة ابن بطوطة (٧٠٣-٧٧٠هـ/١٣٠٣-١٣٦٨م) بقوله: "وأما المارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون[35]، فيعجز الواصف عن محاسنه، وقد أعد فيه من المرافق، والأدوية ما لا يحصر، يذكر أن مجباه ألف دينار كل يوم"[36].

أما الرحالة البلوي (٧١٣-٧٨٠هـ/١٣١٣-١٣٧٨م) فوصفه بعد أن تولى الناصر محمد[37] البيمارستان المنصوري بالعمارة والإصلاح في سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، وذلك بعد أن تعرض أوقافه من القاهرة لحريق كبير [38]، يقول عنه: "قصر عظيم من القصور الرائعة حسنا وجمالاً واتساعاً ما لم يعهد مثله بقطر من الأقطار أحسن بناء ولا أبدع إنشاء ولا أكمل إنتهاء في الحسن والجمال.."[39].

وقد تضمنت الرحلة قصيدة نظمها الرحالة الشاعر البلوي في مدح البيمارستان، هذا مطلعها[40]:

متماثل بالحسن كيف لحظته ... ما شئت من أرض به وسماء
ينساب رونقه فتحسب أنه ... متسربل بنسيجه من ماء

هذا وقد اتفقت أقوال المؤرخين[41] مع كل من ابن بطوطة والبلوي عند تحدثهم عن البيمارستان المنصوري في مطلع القرن الثامن الهجري (١٤م). يقول القلقشندي نقلا عن أبي الفضل العمري في مسالك الأبصار: "وهو الجليل المقدار، الجليل الآثار، الجميل الإيثار، العظيم بنائه، وكثرة أوقافه، وسعة إنفاقه، وتنوع الأطباء والكحالين، والجرائحية فيه"[42]. وكذلك يقول عنه القلقشندي: "وليس له نظير في الدنيا في بره ومعروفه"[43].

أضف إلى ذلك يزودنا البلوي بمعلومات في غاية الدقة والأهمية عن أعداد المرضى وما وصل إليه البيمارستان من تقدم وتطور في أنواع التجهيزات والخدمات التي تقدم للمرضى وقتئذ، إذ يقول في وصفه: "أخبرني الشيخ المؤرخ شمس الدين الكركي المذكور أنه يكمل في كل يوم من المرضى الداخلين إليه والناقهين الخارجين منه أربع آلاف نفس[44] وتارات يزيدون وينقصون ولا يخرج منه كل من يبرأ فيه من مرض حتى يعطى إحساناً إليه، وإنعاماً إليه، كسوة للباسه، ودراهم لنفقاته، وأما ما يعالج به المرضى من قناطير الأشربة المقنطرة والأكحال الرفيعة الطبية التي تستحق فيها دنانير الذهب والإبريز وفصوص الياقوت النفيس وأنواع اللؤلؤ الثمين فشيء يهول السماع ويعم ذلك الجمع، إلى ما يضاف إلى ذلك كله من لحوم الطيور والأغنام على اختلافها وتباين أصنافها، مع ما يحتاج إليه كل واحد ممن يوافيه ويحل فيه لفرشه وعرشه من غطاء ووطاء ومشموم ومذرور وشبه ذلك مما هو معد على أكله هنالك وما ليس مثله إلا في منزل أمير أو خليفة، وقد رتب على ذلك كله من الأطباء الماهرين[45]، والشهود المبرزين[46]، والنظام العارفين[47]، والخدام المتصرفين، كل ما هو في معالجته موثوق بعدالته، مسلم له في معرفته، غير مقصر في تصرفه وخدمته، ولو استقصيت الكلام في هذا المارستان وحده لكان مجلداً مستقلاً بنفسه، إذ في مبانيه الرائعة ،وصناعاته الفائقة، وتواريخه المذهبة، ونقوشه العجيبة المنتخبة، التي ترفل في ملابس الإعجاب ، وتسحر العقول والألباب، ما يفتن النفوس ويكسف أنواع البدور والشموس، وتعجز عن وصف بعضها خط الأقلام في ساحة الطروس، ما وقعت عين على مثله ، ولا سمعت أذن بشبهه وشكله"[48] .

وهكذا كان البيمارستان حسب المرسوم السلطاني مفتوحاً على مدى أربع وعشرين ساعة لتقديم الخدمات الطبية لكل مريض أياً كانت منزلته ، بل يتساوى في الاستفادة من هذه الخدمات الطبية الغني والفقير، على حد سواء دون تميز[49]. هذا وقد كان للأوقاف دور رئيسي في توفير ذلك الريع الوفير وفق جدول زمني محدد ، ففي وثيقة وقف السلطان المنصور قلاوون[50] ما يؤكد ما ذكره البلوي، إلا أن وثيقة وقف السلطان تحذر(ناظر الوقف) من أن يعالج في البيمارستان يهودياً أو نصرانياً كما تحذره الوثيقة كذلك من أن يوظف أو يستخدم من الأطباء،أو من المباشرين،أو من أرباب الوظائف بهذا البيمارستان يهودياً أو نصرانياً ، فهو وقف للمسلمين دون غيرهم من أتباع الديانات الأخرى[51].

٥.البيمارستانات الخاصة:

كان للمصابين بالأمراض العقلية نصيب من الرعاية في المدينة الإسلامية[52]، إذ خصصت لهم أقسام في البيمارستانات الكبرى وربما أنشئت مصحات خاصة لهم، وقد أشار أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي (٣٢٧هـ/٩٤٠م) في كتابه العقد الفريد إلى وجود بيمارستان خاص بالمجانين في جنوب بغداد وهو دير قديم على مرحلة في طريق واسط[53]. وقد أتيح لبنيامين التطيلي أن يطلع على وجود بناية تدعى (دار المارستان) "يأوي إليها المجانين المغلوبون على عقولهم بتأثير حر القيظ الشديد! والأطباء يقيدونهم بالأغلال حتى يثوبوا إلى سابق رشدهم، ويعيشوا مدة مكوثهم فيها بنفقة الخليفة (المستنجد). ويقوم أطباء الخليفة بتفقدهم مرة كل شهر، فيسّرحون من عاد إلى الصواب منهم ليعود إلى أهله"[54].

وإذا أخذنا انفتاح حكايات ألف ليلة وليلة (حكاية أبوالحسن الخليع مع الخليفة هارون الرشيد أنموذجاً)[55] على مزيد من الأبعاد الأسطورية والتخيلية من جهة، واذا انطلقنا من بعض النصوص الرحلية التي سجلتها المصادر، نجد أن بغداد كانت تحتوي على بيمارستانات أشبه ما تكون بالمصحات العقلية في وقتنا الحالي.

أما في مدينة دمشق فكان ثمة بيمارستان النوري الكبير مع مبانيه المخصصة لكل الفروع –كان هناك قسم خاص بالمجانين. وقد أشار ابن جبير إلى أن البيمارستان كان به قسم للمجانين المعتقلين لهم ضرب من العلاج وهم في سلاسل موثقون [56] ، وتندر من بعضهم النوادر الظريفة.ومن أعجب ما حدث به من ذلك:"إن رجلاً كان يعلم القرآن، وكان يقرأ عليه أحد أبناء وجوه البلد ممن أوتي مسحة جمال، واسمه نصر الله ، وكان المعلم يهتم به، فزاد كلفه حتى اختبل وأدى إلى المارستان، واشتهرت علته، وفضيحته بالصبي، وربما كان يدخله أبوه إليه، فقيل له: أخرج، وعد لما كنت عليه من القرآن. فقال متماجناً تماجن المجانين:

وأي قراءة بقيت لي؟ ما بقي في حفظي من القرآن شيء سوى: "إذا جاء نصرُ الله" فضُحِك منه،ومن قوله... فلم يزل كذلك حتى توفي سمح الله له"[57].

كما يشير ابن جبير إلى أن البيمارستان الذي عاينه في القاهرة كان به موضع آخر متسع الفناء ، فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد ، اتخذت محابس للمجانين، وهو ينوه بالسلطان صلاح الدين بقوله: "ولهم من يتفقد كل يوم أحوالهم ، ويقابلها بما يصلح لها. والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال، ويؤكد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد"[58].

ومن أمثلة الرعاية الصحية التي لقيها هؤلاء المجانين أنه خصص لكل واحد منهم مرافق يأخذه باللين والرفق،يصحبه في الحدائق بين الخضرة والزهور، ويسمعه ترتيلاً هادئاً من آي الذكر الحكيم، تطمئن به القلوب وتهدأ النفوس، ولا عجب فقد أدرك علماء المسلمين خطورة الأمراض النفسية ووضعوا لها علاجاً وطباً، وقد جاء في رسائل إخوان الصفا ما نصه: "أعلم أن لمرضى النفوس علاجات وطباً تداوى به، كما أن لمرضى الأجساد طباً يعالج به وعقاقير يداوى بها"[59].

ولنا أن نذكر نظرة الغرب إلى هؤلاء المرضى المساكين خلال العصر الوسيط، فنرى هولا وبشاعة بالغين، مبعثهما الاعتقاد السائد آنذاك، والذي غذته الدعاوات الدينية الخاطئة، بأن هذا المرض لعنة من السماء حلت بصاحبها عقاباً له على إثم زعموا أنه ارتكبه، أو أن شيطاناً دخل في نفسه، فحلل عذابه. وأصبح علاج الفرنجة يتركز على طرد الشياطين من الأجسام العليلة. وكم كانت هناك من حالات (خطرة) استبد الشيطان بصاحبها ولزم طرده شر طردة وبأية وسيلة من الوسائل!

فكان هؤلاء البشر المعذبون يوضعون في سجون مظلمة وقد قيدت أيديهم وأرجلهم، أو يعزلون عن العالم وعن أهلهم في "مستشفى السجن" أو "برج المجانين" أو "القفص العجيب" كما كانوا يسمونها آنذاك، ويسلم أمرهم إلى رجال أفظاظ لا يعرفون إلا لغة الضرب والشتم والتعذيب وذلك أمد الحياة![60].

وأما في أوروبا ،وحتى القرن التاسع عشر، فلقد ظل هذا المريض نفسه يعامل كمجرم فيسجن ويعذب ويهان. وفي الشرق الإسلامي والأندلس كان هناك أكثر من بيمارستان للأبرياء (Innocentes) كما كانوا يسمونهم.

وهنا لم يتمالك "غايلر فون كايزربرغ (Geyler Von Kaisersbeng) نفسه من التعجب قائلاً: "أي اختلاف كبير بن نظرة الغربي وبين نظرة العربي وأي فرق عظيم بينهما بين طبيب يسعى دوماً أن يظهر أمام مريضه بمظهر اللامتخلي عنه وغير المتشائم من مصيره - كما صرح ابن سينا – وبين طبيب لا يحجم عن قتل مريضه رغبة منه في تخليصه من الآلام!

أجل كان الرازي وصحبه من الأطباء العرب المثال الحي والقدوة المثلى لأطباء الغرب فيما بعد لدى معالجتهم مرضى الأعصاب والذين لا رجاء من شفائهم بإنسانية رائعة"[61].

خاتمة:

نخلص في ختام هذه الدراسة إلى ما يلي:

- استحسن الرحالة وفرة البيمارستانات في الحواضر والمدن سواء من لدن السلاطين أو من الخواتين والأثرياء. وهذه المؤسسات كانت سبباً من الأسباب التي شجعت الرحالة على دعوة المغاربة والأندلسيين إلى ارتياد المشرق،لأنها توفر لهم بيئة صالحة للاستقرار والعيش الكريم .

- قد نال الحكام إعجاب وتقدير الرحالة ، لما يقدمونه من خدمات جليلة للمرضى وأصحاب الأمراض المستعصية إلى جانب جهادهم ضد الصليبيين في هذه المدة التاريخية (السلطان نور الدين زنكي أنموذجا).

- إن المعلومات المقدمة من الرحالة عن التجهيزات الخدمية في البيمارستانات المشرقية هي إضافة تاريخية لزاوية من زوايا الصورة المجتمعية، فقد نالت الخدمات الطبية لكل مريض أياً كانت منزلته، إعجاب ودهشة الرحالة والتي بلغت ذروة صورتها في "البيمارستان المنصوري" في مطلع القرن الثامن الهجري (١٤م).

- إن "حالة الترفيه" التي تحدث عنها الرحالة تشكل استثناء،حيث بينت الدراسة عدم إمكانية إسقاطها في فترات مغايرة، مما يجعل كل تعميم في هذا الشأن بعيداً كل البعد عن الحقيقة التاريخية.

- من خلال دراسة المدونات الرحلية لاحظنا أننا إذا قابلنا رحلات المغاربة والأندلسيين مع المصادر المشرقية المعاصرة، لرأينا أنهم ما جاؤوا بمعلومات متناقضة أو مخالفة لها، على الرغم من قلة المعلومات التي ذكرها الرحالة ، فهي مركزة وغنية للدارس في تلك الفترة.

Abstract

Description Moroccan travelers and the Andalusians Pemmarstanat Levantine From the sixth century to the eighth century AH (12-14m)

By Nawaf Abdul Aziz Al-Jahmah

Researcher finds in the history of offering the Arab-Muslim medicine to the country's Arab East during the Middle Ages great difficulty is the lack of resources and the scarcity of information about the practice of medicine and health care, and this constitutes wrote trips Moroccan, Andalusian different patterns and variation of its purposes frame of reference indispensable for the scientist in "medical science field "this is because the sex of literary output involves a significant and diverse balance of cognitive culture rarely find his counterpart in the rest of the historic codes in quantity and quality and expression.

The information contained in the books of Moroccan, Andalusian trips make an effective contribution to the monitoring of many aspects of medical activity Mashreq countries during the period under Dars.ohma what we will try to highlight through our study of the subject.

الهوامش والمراجع

(1) انظرإلى: نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٤؛ حسني محمود حسين، أدب الرحلة والرحلات عند العرب، بيروت، دار الأندلس، ط٢، ١٩٨٣؛ حسين نصار،أدب الرحلة والرحلات عند العرب،دار الاندلس،بيروت،ط.١٩٨٣،٢؛الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، الرباط، منشورات عكاظ ، ١٩٩٥؛الفقيه الادريسي،المغرب – المشرق (العلاقات والصورة)، جامعة القاضي عياض، مطبعة النجاح، ١٩٩٩، أعمال ندوتي(١٩٩٤-١٩٩٧).

(2) عبدالغني أبوالعزم، المدينة في رحلة ابن بطوطة، ندوة مدرسة الملك فهد للترجمة، طنجة، ١٩٩٥ ، ص١٠٩ .

(3) البيمارستان: لفظة فارسية الأصل مركبة من كلمة (بيمار) وتعني مريض أو مصاب و (ستان) وتأتي بمعنى دار. وبالتالي يكون معنى (بيمارستان) = (دار المرضى)، واختصرت في ما بعد في الاستعمال فأصبحت تلفظ (مارستان) واطلقت هذه اللفظة على المستشفيات في العصور الإسلامية، وأخذت في بعض الأحيان لتسمية أخرى مثل (دار الشفاء) في الشرق أو (دار الفرج) بمراكش أو (سيدي فرج) بمدينة فاس، وهي بمثابة المستشفيات العامة التي تعالج فيها جميع الأمراض الجسدية والعقلية.
انظر إلى: قاسم محمد، محمود الحاج، الطب عند العرب والمسلمين: تاريخ مساهمات، ج ١، جدة، الدار السعودية للنشر، ١٩٨٧، ص ٣١٣؛ الخطيب، حنيفة، الطب عند العرب، بيروت، الأهلية للنشر، ١٩٨٨، ص ١٩٨ .

(4) الجذام: قال ابن منظور: الجذام من الداء: معروف لتجذم الأصابع(لسان العرب،بيروت،طبعة دار لسان العرب،د.ت،ج١، ٤٢٢٠)،وعرفه عبدالله البستاني: الجذام داء وبيل يحدث في انتشار السوداء في البدن كله، فيفسد مزاج الأعضاء وهيأتها، وربما تأكل الأعضاء وسقوطها من شدة التقرح.انظر الى: (البستاني) عبدالله، معجم لغوي، بيروت، المطبعة الأميركانية، ١٩٢٧، م٨، ١٩٢٧، ص٧٠٤ .

(5) عاشور، سعيد عبدالفتاح ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية، الكويت، ذات السلاسل، ط٢، ١٩٨٦، ص٢٨٦؛ المقريزي ، أبوالعباس، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، دار صادر، د.ت، ج٢، ص٤٠٦؛ عكاوي، رحاب، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، بيروت، ط١، دار المناهل ، ١٩٩٥، ص١٦٠-١٦١.

(6) ابن خلدون،عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون،تحقيق عبد الواحد وافي،القاهرة،دار النهضة،ط١٩٨٠،٣،ج٣،ص١١٤٣

(7) مقدمة ابن خلدون:٢ / ٩٥٩-٩٦٠ .

(8) عاشور،دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٨٦.

(9) سنان بن ثابت: أبوسعيد سنان بن ثابت ت ٣٣١هـ/٩٤٣م: طبيب صابئ من أصل حران نشأ ببغداد، رئيس الأطباء في عهد الخليفة المقتدر عمل في خدمة الخليفة القاهر بن المعتضد. المنجد في الإعلام، ص٣٦٧؛ ابن أبي أصيبعة،ابو العباس موفق الدين، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، منشورات مكتبة الحياة،١٩٦٥، ص٣٠٢.

(10) عاشور، سعيد عبدالفتاح، المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة الإسلامية، تونس، دار المعارف للطباعة، ١٩٩٤، ص٦٠؛ ابن أبي أصيبعه، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٣٠٢؛القفطي،ابو الحسن، تاريخ الحكماء،بغداد،مكتبة المثنى ،ومؤسسة الخانجي بمصر،د.ت، ص١٩٣.

(11) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب، ص٢٣٨؛ عيسى، أحمد، تاريخ البيمارستان في الإسلام، دمشق، المطبعة الهاشمية، ١٩٣٩، ص١٨٤؛ الخطيب، الطب عند العرب، ص٢٠٧؛ القفطي ، تاريخ الحكماء، ص١٩٣.

(12) السامرائي،مختصر تاريخ الطب، بغداد، دار الحرية، ١٩٨٥، ج١،ص٤٢٨، ٤٣٢ ؛عبدالباقي، أحمد، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩١، ص٥٣٠.

(13) المنجد، صلاح الدين، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، بيروت، دار الكتاب

الجديد، ١٩٦٣، ص١١٥.

(14) لم يتوصل الباحثون إلى ما يلقي الضوء على سيرة هذا الرحالة ومولده ونشأته ومركزه العلمي والأدبي ، وكل ما يعرف عنه مأخوذ عن المقدمة الوجيزة التي صدر بها الرحلة كاتب مجهول الهوية وربما كان معاصراً لبنيامين : التطيلي، بنيامين ، رحلة أبن يونه إلى بلاد الشرق الإسلامي ، ترجمها وعلق على حواشيها عزرا حداد، ط١ ، بيروت، دار ابن زيدون ، ١٩٩٦ ، ص٧؛ احمد الشحلان ، رحلة بنيامين التطيلي، " ندوة الرحلة بين الشرق والغرب" ، منشورات جامعة محمد الخامس ، الرباط ، ٢٠٠٣م.

(15) بلنسي شاطبي ، عني بالأدب وبالحديث، وتقدم في صناعة النثر والنظم ، رحل إلى المشرق ثلاث مرات ، وزار في الأولى (سنة ٥٨٥ هـ) مصر والشام والعراق والحجاز ، وكتب رحلته هذه ، وتعد من أمتع الرحلات الجغرافية العربية وأغناها بالملاحظات الاجتماعية والعلمية.نشر الرحلة رايت في ليدن عام ١٨٥٢م ، وأعاد نشرها دغوية سنة ١٩٠٧م ، ثم نشرت في بيروت، انظر في ترجمته : ابن الخطيب ، لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق ، محمد عنان ، م١١ ، ط . القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص٢٣٣- ٢٣٤؛كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ،ترجمه صلاح الدين هاشم،القاهرة،١٩٦٣م، ص٣٣١ .

(16) هو رحالة كبير ، طاف في كثير من أقطار الأرض ، وهو من البربر ولد سنة ٧٧٩ هـ . قام بعدة رحلات إلى البلدان الأفريقية والآسيوية بالإضافة إلى البلدان العربية وبلغ تطوافه الهند والصين . حج مكة المكرمة ، وزارة المدينة المنورة ، والمشاهد المقدسة كالقدس والخليل ، وسجلت رحلاته هذه ، وأهمها الرحلة الأولى التي بدأها من مسقط رأسه طنجة والتي قام بها سنة ٧٢٥ هـ . انظر تاريخ الأدب الجغرافي ، ص٢١ .

(17) هو أبو البقاء، قاضي مدينة (قنتوريه) . طاف بنواحي المغرب والمشرق، وكتب رحلته بأسلوب تكلف فيه الإغراب، ووصف فيه أفريقية وا لقدس ومكة، وأخذ شيئاً من ابن جبير . بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي، ج٢، ترجمة ، جماعة من الباحثين ، القاهرة ، الهيئة المصرية، ١٩٩٣م/ ١٩٩٥م ، ص٢٦٧ ؛زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب العربية ، ج٣ ، ط٤، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص٢٢٩-٢٣٠ .

(18) كحالة، عمر رضا، العلوم العلمية في العصور الإسلامية، دمشق، مطبعة التعاونية، ١٩٧٢، ص١١٧؛ الخطيب، الطب عند العرب، ص٢٠٨.

(19) ابن ابي اصيبعة، عيون الإنباء في طبقات الأطباء، ص٤١٦.

(20) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص٢٤٠ .

(21) رحلة بنيامين التطيلي، ص١٣٤، ١٣٥.

(22) رحلة ابن جبير، ص١٧٣.

(23) انظر: عكاوي، الموجز في تاريخ الطب، ٢٤٠؛ رحلة بنيامين التطيلي، ص١٣٥، هامش ١ .

(24) ابن أبي أصبعة، عيون الأبناء في طبقات الأطباء، ص٦٢٨.

(25) الخطط المقريزية، ج٢، ص ٤٠٨؛ الخطيب، الطب عند العرب، ص٢١٢.

(26) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٧٥١؛ الخطيب، الطب عند العرب، ص٢١٣.

(27) رحلة ابن جبير، ص٢٢٠.

(28) المصدر نفسه ، ص٢١٩-٢٢٠.

(29) انظر إلى أسماء الأطباء الذين عملوا في البيمارستان النوري الكبير: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٦٢٨-٦٠٥-٦٦٠، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٦١.

(30) انظر إلى : على القيم،متحف الطب والعلوم عند العرب في دمشق – بيمارستان نور الدين، منشورات المديرية العام للأثار والمتاحف ١٩٨٤؛ عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٢٨٧.

(31) هو قلاوون بن عبد الله ، مملوك تركي كان من مماليك الصالح نجم الدين أيوب ، أعتقه سنة ٦٤٧ هـ وكان الملك الصالح اشتراه بألف دينار، فعرف بالألفي ، تولى أتابكية الملك العادل بدر الدين سلامش ابن الملك الاهر بيبرس سنة ٦٧٨ هـ ، ثم خلع سلامش وتسلطن ولقب نفسه الملك المنصور سيف الدين وكانت مدة حكمه أحد عشر عاماً وستة أشهر ، أفرد من مماليكه ثلاثة آلاف وسبع مئة مملوك من الأمراء الجراكسة ، وجعلهم بالقلعة وسماهم (البرجية) . تسلطن بعده ابنه الملك الأشراف صلاح الدين .

ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ،دار الثقافة ، ١٩٧٢م ، ٤ ، ص ١٥٨ .

(32) انظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٠٦؛ زيغرد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، منشورات المكتب التجاري للطباعة ، ص٢٣؛ حياة الحجي، صور من الحضارة العربية الإسلامية، الكويت، دار العلم ، ط١، ١٩٩٤، ص٢١١.

(33) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ٤٠٦-٤٠٧؛ السلوك، ج١، ص٧١٦-٧١٧، ٩٩٧-٩٩٨.

(34) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٠٦.

(35) تعتبر القطع المحفوظة للبيمارستان ولتربة السلطان قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ) (١٢٧٩-١٢٩٠م) من أبرز المعالم الأثرية في القاهرة وأن اسم طريق "بين القصرين" آت من القصرين الذين بناهما الفاطميون في القرن الرابع والخامس الهجريين (١٠-١١م) واسم "بين القصرين" اختاره ١٩٥٦ نجيب محفوظ لإحدى قصصه.

انظر: ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج١، تحقيق عبدالهادي التازي، الرباط، الأكاديمية المغربية، ١٩٩٧، ص٢٠٣، هامش ٨٥.

(36) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٣.

(37) تولى السلطان الناصر محمد بن قلاوون عرش مصر ثلاث مرات ، كانت أولاها سنة ٦٩٣ ه/١٢٩٣م بعد مصرع أخيه الأشرف خليل ، وكان ما يزال طفلاً في الثامنة من عمره ، ولم يستمر فيها سوى سنة واحدة ، والثانية سنة ٦٩٨ هـ/١٢٩٩م ، ولكنها كانت مجرد سلطنة صورية لم تستمر سوى بضع سنوات ، حتى اعتزل هو الحكم سنة ٧٠٨ هـ/١٣٠٩م ، ثم كانت سلطنته الثالثة ، الحقيقة سنة ٧٠٩ هـ/١٣١٠م، بعد أن جاوز عمره الستين ، وكانت تلك الفترة من أهم فترات العصر المملوكي لما تميزت به من ازدهار واعادة ترتيب للنظام الإداري والمالي في الدولة . حياة ناصر الحجي، السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٩٨٤ ، ص١٩-٣٠ .

(38) انظر: المقريزي، السلوك ، ج٢، ص٢٢٠؛ ابن تغري البردي، أبوالمحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ج٩، ص٦٣-٦٤.

(39) البلوي، تارج المفرق، في تحلية علماء المشرق، ج١، تحقيق الحسن السائح، المغرب، مطبعة فضالة، د.ت، ص٢١٨.

(40) المصدر نفسه ، ج١، ص٢١٨.

(41) انظر: القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، القاهرة، ١٨٥٣؛ ابن أياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٨٤، المقريزي، المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، ١٨٥٣.

(42) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٦٦.

(43) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٨.

(44) يتفق ابن حبيب مع البلوي في إحصاء عدد المترددين على البيمارستان في قسم العيادة الخارجية بحوالي أربعة آلاف نفس .

انظر: ابن حبيب، الحسن بن عمر، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق أحمد أمين ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ج١ ،ص ٣٠٦ .

(45) من أشهر الأطباء في البيمارستان المنصوري: أحمد بن يوسف الصفدي ، محمد إبراهيم السنجاري. ابن حجر،احمد بن علي ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ،تحقيق محمد السيد جاد حق،القاهرة،١٩٦٦، ج ٣، ٣٦٦ – ٣٦٧.

(46) تقع على عاتق ناظر الوقف تولي مهمة أوقاف البيمارستان على مختلف أنواعها ويتولى " الناظر " الإشراف على تحصيل الإيجارات وعمل الترميمات والإصلاحات اللازمة. ابن حبيب ،تذكرة، ج١ ، ص٣٦١ ، ٣٦٢ .

(47) هم المباشرون أو الأمناء وسائر الموظفين القائمين على العمارة والصيانة . انظر: حياة الحجي ، صور

من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك ، الكويت ، دار القلم ، ١٩٩٢م ص ٢٢٨ - ٢٣٠ .

(48) البلوي، تاج المفرق، ج١، ص٢١٩.

(49) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ .

(50) وقد نشر هذه الوثيقة لأول مرة الدكتور احمد عيسى بك في كتابه " تاريخ البيمارستانات في الاسلام " دمشق ١٣٥٧ ه/١٩٣٩م ، وقد طبع الكتاب طبعة ثانية مصورة سنة ١٤٠١ هـ/١٩٨١م . وقد حصل الدكتور أحمد عيسى بك على نسخة من الوثيقة من صديقه الأستاذ المرحوم أحمد زكي باشا ، ذلك أن المرحوم إبراهيم باشا نجيب الذي تولى إدارة " ديوان الأوقاف " من ديسمبر سنة ١٩١٢ م إلى ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٣ م عثر في محفوظات الديوان على وقفية السلطان المنصور قلاون ، وطلب الديوان من المرحوم أحمد زكي باشا قراءة الوقفية ، فانتهز الفرصة ، واستنسخ لنفسه نسخة للخزانة الزكية ، ولم يسبق لأحد ما قبل ذلك رؤية هذه الوقفية أو معرفة ما فيها . وقد تفضل الأستاذ المرحوم أحمد زكي باشا باعارتها إلى الدكتور أحمد عيسى بك مؤلف كتاب " تاريخ البيمارستانات في الإسلام " . انظر :عيسى بك،أحمد،تاريخ البيمارستانات في الإسلام،الطبعة الثانية،نسخة مصورة عن الطبعة الاولى ،بيروت ،١٩٨١، ص ١٣٢ .

(51) أحمد عيسى، البيمارستانات ، ص ١٤١ ، ١٤٦ ؛ حياة الحجي ، صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك ص ٢١٩.

(52) يشير د. علي زيعور أن المدينة الإسلامية احتوت على مؤسسة خاصة لمعالجة المرضى العقليين (الذهانيين) والمرضى النفسيين (العصابين)، وكانت تحمل اسم (البيمارستان) وأن هذه المدينة كانت رحومة بالطفل والعجائز والمصابين بالأمراض المزمنة.
مكانة الصحة النفسية والعلاج النفسي في علم المدينة الإسلامية ، مجلة اجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، السنة الثانية، العدد السادس، ربيع ١٩٩٥/ ١٤١٠هـ، ص١٢٠.

(53) عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٨٩.

(54) رحلة بنيامين التطيلي، ص١٣٤-١٣٥.

(55) ألف ليلة وليلة، دار العودة،بيروت،١٩٧٩، ٢/١٦٧.

(56) رحلة ابن جبير، ص٢٢٠.

(57) المصدر نفسه، ص٢٢٠.

(58) المصدر نفسه، ص٢٣.

(59) رسائل اخوان الصفاء، ج٤، ص٤١.

(60) هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(61) المصدر نفسه، ص٢٥٤.